

الإغـتـبـاط بالجواب عن الأسئلة الواردة علينا من الأـغـواط (1)

تأليف العلامة القاضي الحاج أحمد سكـيرج

تحقيق ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم.

نحمد الله على ما خص به وعم، مما به على عباده أنعم، بواسطة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين. أما بعد فإنه قد ألقى إلي كتاب من المحب الأجد السيد علال بن أحمد التجاني الكتبي بالأغواط، زاد الله في معناه، وبلغه في الدارين متمناه، ملتتمسا منا الجواب عن اثني عشر سؤالاً، مع ما ألحقه بذلك، مؤكداً علينا في الجواب عما هنالك، فلم أجد بداً من إجابته جبراً لخاطره فيما شرفنا به بمكاتبتّه. وقد اعتدت من نفسي الجواب عن كل كتاب وصلني ممن أعرف وممن لا أعرف، ولا سيما من عرفت عنوانه، فإن جوابه متأكد علي، وقد قيل :

إذا وصل الأحبة من أحبوا      فما صلة بأفضل من كتاب

وإني أشكر هذا المحب على حسن تعرفه إلي، وما تفضل به من الثناء الجميل علي، فنظر محاسنه في مرآتي، والمؤمن مرآة أخيه في الماضي والحال والآتي. فوصفني بما يستحق أن يوصف به. وشكر العبد في طيه شكر مولاه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، جعلني الله وإياه من الشاكرين، وجعل لنا لسان ذكر في الآخرين.

عسى عناية لطف الله تلحقني      بالسابقين فقد عوقت من كسل

ولقد نظرت إلى هذه الأسئلة التي طرحها بين يدي، واقترح فيها الجواب علي، فإذا بها وضاحة الجبين، لا يحتاج في تحرير الجواب عنها إلى مشقة بين ذوي الحق المبين، فأملت من غير تأنق في الخطاب، على كل سؤال ما ينوط به من جواب، وأرجو من المولى جل اسمه أن أكون في ذلك مصادفاً للصواب، وأن يجزل لنا الثواب بشمول النفع بما انطوى عليه هذا الكتاب، وسميته بالإنبساط بالجواب عن الأسئلة الواردة علينا من الأغواط. وعسى أن يكون من التأليف المقبولة، التي هي بحول الله بحبل الإعتصام به موصولة، وها أنا ذا أذكرها متتابعة فأقول :

**السؤال الأول :**

ما هي كتب أصول الطريقة التجانية الصحيحة المعتمدة ؟

الجواب : لا يخفى على الممارسين لمؤلفات المتقدمين والمتأخرين، وعلى سائر العارفين أن كل كلام فيه المردود والمقبول إلا كلام الرسول (ﷺ). ولا يخلو كتاب من خطأ، لأن القلم غير مرفوع عنه، ولو بلغ ما بلغ من الصحة لفظاً ومعنى، حاشا المصحف الكريم. وأما غيره من المؤلفات فهو كما ذكرنا. وغالب كتب التصوف عند غير أهل الإعتقاد فسيحة المجال في الإنتقاد. بل حتى أن كتب السير



كونه منسوجا على منواله في جل أبوابه وفصوله. وإن وافقه في بعض معقوله ومنقوله. في حسن الصنيع، والنسق البديع(6) مع ما خص به من النظرة على ما هو عليه من كونه منسوجا على منوال المقصد الأحمد. على أن أصول الطريقة غير مجهولة لدى سائر المقدمين. وهي مقررة لدى كل المريدين، لأنهم عرفوها بالتلقي عن المقدمين بالتلقين، فيما عليه المدار فيها بيقين دون تخمين. ولا يحتاج فيها إلى تأليف، وإنما التأليف ألفت لاستنهاض الهمم للتقيد بحبال الطريقة لمن وفق إليها.

فإن سائق السعادة يسوق إلى هذه الطريقة أهلها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس منها. وهكذا الشأن في غيرها من سائر الطرق في الكتب المؤلفة فيها، وفي مناقب الشيوخ رضي الله عنهم، ولما كان كتاب جواهر المعاني بالمتابة التي هو بها من التتويه به بما نقل عن الشيخ رضي الله عنه. وقد ألفت قيد حياته وطالعه، وأجاز رضي الله عنه مؤلفه فيه بما كتبه عليه، كما هو محفوظ لدينا، كان أصح كتاب يعتمد عليه بتقيد إطلاقه وإطلاق تقييده، طبق ما هو محفوظ عند علماء الطريقة(7) حسبما هو معروف لدى سائر الإخوان من مقدمين ومريدين عالمين وجاهلين. وقد سبقت له النظرة الإختصاصية بما فاق به غيره.

وإذا تبين أن المؤلفات في هذه الطريقة متعددة، وجلها إن لم نقل كلها مشتملة على أصولها المعتبرة طبق ما قلناه، لم يبق كلام إلا فيما ينبغي أن يكون مقدا على غيره في موضوعه، في إجادة الصنع وصدق النقل. وذلك مما يكون حجة للمريد في فقه الطريقة مثل جواهر المعاني، ونظم المنية، وشرحها المسمى بالبغية(8) وما نسج عن منوال ذلك مما لا ينبغي أن نشكر نفسنا عليه في تأليفنا :

(6)

(7)

(8)

27

1309

1266

33

60

103

1

98

.1592

398

69

الكوكب الوهاج في شرح درة التاج وعجالة المحتاج، فقد اشتمل بحمد الله على تلك الأصول وزيادة في كمال إفادة، فليراجع ذلك من أردده.

### السؤال الثاني :

ما هي الكتب التي ألفت في هذه الطريقة وهي كلها أو جلها كذب وزور وبهتان ؟

الجواب : أن الكتب التي لا عمل عليها عندنا في الطريقة هي التي لم يعرف مؤلفها، وذكر فيها ما يخالف النقل، ولا يقبله العقل، وقد يوجد منها ما مزج فيه الحق بالباطل، مما يكون صادرا عن نية فاسدة من مريد جاهل، أو مبغض متكرر في صورة المرید الصادق فيما هو له ناقل، ومقصوده دس المنكر في المعروف، لتقوم قيامة النكير على الشيخ التجاني رضي الله عنه وطريقته وأهلها، كما صدر ذلك في بعض المشاهد المنسوبة للشيخ قدس سره، وقد نسجها من نسجها على منوال المشاهد الموسومة بالكنز المطلسم(9)، التي حررها الخليفة المكرم، سيدي الحاج علي حرازم برادة مؤلف جواهر المعاني، فقد اشتملت على أمور يتحقق باختلافها المعتقدون في أهل الله، كانوا من أهل هذه الطريقة أو كانوا من غيرها، لأن مقام الشيخ رضي الله عنه يقضي ببراءته مما ينسبه إليه المبطلون.

وقد بسطت القول في هذا الموضوع في تأليفنا المسمى : جناية المنتسب، فيما نسبه للشيخ التجاني من الكذب(10)، وإن كان جل تلك المشاهد غير مكذوب، ولكن الثقة بها مفقودة، فإني قد عثرت على النسخة التي هي بخط مؤلفها رحمة الله عليه، وقد فرقها أوراها الأخ العارف بالله سيدي محمد العبدلاوي(11) رحمه الله، وابن أخته الذاكر الناسك السيد أحمد بن السائح العسافي، وأطلعني شيخنا العارف بالله السامي سيدي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه على نسخة منها، وأتحفني بها، وقد خرجت عن ملكي إتحافا منا لمن استحقتها بإحسانه وصدق محبته، محل الأخ

(9)

:

(10)

1389

1 47

(11)



الإذن له في أنكاره اللازمة وغير اللازمة من سائر ما اشتملت عليه كتب هذه الطريقة ولا غيرها، فإن الطريقة شيء والمؤلفات فيها شيء، ولكن حسن الظن فيما انطوت عليه من شيم أهل التسليم لأهل الله، فيما ثبت عنهم ولو فوق ما لا تتكيفه العقول، مما عنهم منقول، والله الموفق.

### السؤال الثالث :

ما هي قواعد وأصول وآداب الطريقة التجانية وشروطها الأساسية الصحية والكمالية ؟

الجواب : إن الطريقة التجانية من أجل الطرق المؤسسة على تقوى من الله ورضوان، عمودها الإيمان المشيد عليه قواعد الإسلام، ولا خروج فيها عن الشريعة المحمدية في شيء، غير مقيدة باتباع مذهب خاص من المذاهب، لكون سائر الأئمة في الفروع على هدى من ربهم، فالمريد المالكي أو الشافعي وغيرهما لا يشترط عليه الإنتقال من مذهبه لمذهب الشيخ رضي الله عنه الذي كان متقلداً به، ولا مخالفة فيها لعقائد أهل السنة والجماعة.

ومن لم يكن في سيره متمسكا بهذا الذي قلنا فليس بتجاني

فقواعد هذه الطريقة التجانية من قواعد الدين الإسلامي، وليس فيها شيء زائد على ما شرعه المشرع عليه السلام فيها، وكل من نسب لها ما ليس بمشروع فهو على خطأ في الفهم، أو متعمد للإضلال بعلم أو بغير علم، سواء كان متمسكا بحبلها، أو ممن حرمهم الحق من فضلها، أو كان من غير أهلها.

وهذا سبيل واضح لمن اهتدى ولا عبرة بالمعتدي المتعصب

وأما أصولها فجميعها مأخوذة من الكتاب والسنة بما خوطب به كل مكلف من أصول الدين وفروعه من عقائد وفرائض ونوافل، وغير ذلك مما هو مشروع من منقول ومسموع، وأول ما هو مؤكد فيه على مرديها القيام بأداء الواجبات على أتم وجه، واجتناب المنكرات بقدر الطاقة والوسع، وحب أهل الله الأحياء منهم والأموات على اختلاف مشاربهم، والتسليم لأحوالهم، وفي مقدمتهم من له عليهم أبوة طينية أو دينية، وأمومة وأخوة في الله، وحب الشيخ، ومن لهم عليه ولادة، ومقدمي طريقته وأصحابه وإخوانه.

وأما آدابها فيدخل تحت العمل بمقتضاها ما تقدم مع الإستغال بما يعني والتخلق بمكارم الأخلاق، ومعاملة الناس بما يحب أن يعاملوه به، والأخذ بجبر خواطرهم، والإحسان إلى إخوانهم بما أمكنه مما يدخل السرور عليهم، والتباعد عن كل ما يؤذيهم،

فقد قال النبي (ﷺ) للشيخ رضي الله عنه : قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذي ما يؤذيهم(17). وهناك آداب منوطة بالأوراد اللازمة من ورد ووظيفة وذكر الهيللة عشية كل يوم جمعة، وأما شروطها الأساسية فهي التزام ذكر الورد صباحا ومساء، وذكر الوظيفة مرة في اليوم أو مرتين، وذكر الهيللة بعد صلاة عصر يوم الجمعة في عدد خاص للمنفرد، وبغير حصر في عدد في الجماعة المتصل ذكرهم للغروب.

ولهذه الأذكار الثلاثة شروط صحة وشروط كمال، وقد بسط القول فيها صاحب الرماح والبلغية وغيرهما ممن ألف في فقه هذه الطريقة، وقد أطلنا النفس في ذلك في تأليفنا الكوكب الوهاج في شرح درة التاج وغيره مما نرجو من الله أن ينفع به جامعه ومطالعه، وليس فيما أوجبه الشيوخ على مريديهم أو ما شرطوه عليهم خروج عن الأمر المشروع، أو معارضة الشرع في هذا الموضوع، خلافا لمن حبب إليهم الانتقاد على أهل الله بما لا يسمن ولا يغني من جوع، وما علينا إلا أن نعمل في طريقنا التجانية المحمدية على ما لا يخالف الشريعة ولا يهتك حرمتها، ولا علينا في المنتقدين ولو ادعوا أنهم من أنصار الدين، والله يعلم المفسد من المصلح، وليس في إنكار العالم أو الجاهل على أهل الحق حط من قدرهم عند الله، وهم على هدى من الله، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله طبق ما أخبر الله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

#### السؤال الرابع :

ما هو كتاب الشيخ المعبر عنه بالكناش، هل هو الجواهر أم الجامع؟(18) وما هي تأليف الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه؟ وهل له تأليف فيما يتعلق بمفسقات العقول والأجسام من المسكرات والمخدرات والمفترقات والملهيات وغيرها، كالنبيد والخمر والميسر والبنج والسكر والقهوة والحشيشة والدخان وجوزة الطيب والزعفران والأفيون وما أشبه ذلك؟ ثم قال عن حكم هذه المذكورات كلها أنها حرام ولا يجوز استعمالها بحال، وقد زعم بعض الفقهاء من أولاد سيدي نايل أنه وجد رسالة لطيفة في ذلك بخط الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه هل ذلك صحيح أم لا؟

(17) 281.

(18)

: 1224

.256

25

11

191 3

149

.168

1



الجواب : اعلم أن الشيخ رضي الله عنه لم يؤلف بنفسه تأليفا في موضوع خاص، وإنما له رسائل وأجوبة بحسب المسائل التي تعرض له في إرشاد الناس ونصحهم وإفادتهم، وتقبيد بعض مطالبه للتذكرة والتبصرة، ونحو هذا مما إذا جمع كان مؤلفا في مجلدات، وقد تفرق جل ذلك بين أصحاب الشيخ رضي الله عنه قيد حياته وبعدها، وقد جمع سيدنا محمد الحبيب بن سيدنا رضي الله عنه ما عثر عليه من ذلك في خزانة وقف عليها شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه بعد وفاة مولانا الحبيب المذكور بزواية عين ماضي، مع من أذنتهم بفتحها مولانا رقية بنت مولانا الكبير (19) بن الشيخ رضي الله عنه، حيث كان لها العلم بها، وهي الكبيرة في الدار الشريفة هناك في ذلك الحين، ولما فتحوها وجدوا هناك في طالعة تلك المخطوطات بطاقة بخط مولانا الحبيب المذكور يقول فيها ما معناه : ليعلم الواقف على هذه الخزانة أنها قد انطوت على أوراق بخط الشيخ رضي الله عنه، والخليفة المكرم سيدي الحاج علي برادة، والواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي، وإياكم أن يطلع عليها الفقهاء فيهلكوا، وهي هنا مستودعة إلى أن يحوزها المنتظر، وقد تعرضت إلى هذه القضية في تأليفنا كشف الحجاب، مع بسط القول فيها طبق ما سمعته من شيخنا المذكور (20)، وقد بلغني عن مفيدنا العلامة السيد عبد السلام بن محمد بناني (21) أنه لما ذهب لعين ماضي وجد بعض الحكام هناك يبحثون عن هذه الخزانة وعن الكناشين المكتومين، ولم يتمكن من تحويل نظرهم عن زيادة البحث عن ذلك إلا باطلاعهم على نسخة جواهر المعاني التي هي بخط سيدي علي حرازم برادة، والجامع للعلامة ابن المشري، وقال لهم : هذان هما الكناشان المكتومان. وقد بلغني عنه أنه لما رجع لفاس أطلق لسانه في تأليفنا كشف الحجاب المشار له، ويقول سبب بحث الحكام على الخزانة المذكورة هو وقوفهم على ما ذكرته فيه عن شيخنا العبدلاوي المذكور، ونحن لم ننأثر لإطلاق عنان لسانه في ذلك، لأننا إنما أخبرنا بما سمعناه (22)، ولاشك أن الأسرار تدافع عن نفسها، ورب البيت يحميه.

(19)

1238

:

- .6 3 55 2 .315 (20)
- .202 (21)
- 158 49 42 1 (22)
- .49

وما ذكره من كون جواهر المعاني والجامع هما الكناشان المكتومان هو الذي يقول به جماعة من المقدمين، وإنما كان يسميهما الشيخ بالمكتومين لأنه لا يجب أن يطلع عليهما غير أصحابه الصادقين، وعلى الأخص كتاب جواهر المعاني، حتى أنه أمر مؤلفه في بادئ الأمر أن يحرقه، ثم صدر الإذن له بتأليفه والمحافظة عليه إلى أن ينفع الله به الأولياء بعده(23)، وقد بشرني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي رضي الله عنه بأنني والله الحمد ممن ينتفع به، وقد أطلعته على طرف من نظمي لهذه الجواهر، فأمرني بأن لا أتمه مع شرحي لها المسمى بتيجان الغواني(24) في شرح كتاب جواهر المعاني، وحذرنى من ذلك.

ولما وقف علي مقدمة هذا الشرح عالم الشرفاء، وشريف العلماء، سلطان المغرب سابقا، سيدنا ومولانا عبد الحفيظ(25) رضي الله عنه شطب على اسم تيجان الغواني، وكتب بخط يده ما سماه هو به : تيجان المعاني في شرح بلوغ الأمان(26)، وقد أحسن في ذلك حيث استتف من ذكر الغواني، في هذا الجنب المحمدي التجاني، قدس الله سره. ولقد كان شيخنا العبد لاوي رضي الله عنه متغير خاطر على من طبع كتاب جواهر المعاني المذكور، حيث انتشر بين العامة الذين لا يقدرون قدره، ويتسارع إلى الإنكار لما انطوى عليه من لم يشرح الله للتسليم لأهل الله صدره، فكان من نتائج خوض المبغضين لهذا الجنب الطعن في هذا الكتاب بأنه منتحل من المقصد الأحمد، فاتسع المجال للمنتقدين على مؤلفه والطعن في الطريقة بذلك، مع أن الخطب في إبرازه في حلة المقصد سهل، والمدار عندنا في الطريقة على ما انطوى عليه من مقالات الشيخ رضي الله عنه وفتاويه الخالي منها المقصد المشار له، فسقط في يد المنكرين، والله عليم بالمفسدين، طبق ما أشرنا إليه، وإذا علمت هذا تحقق لديك أن الشيخ رضي الله عنه كان له كتابان يعبر عنهما بالمكتومين لا كناش واحد، ولعلهما الكتابان المذكوران، وكنت أرى الكناشين المذكورين هما كناشان آخران قد عثرت عليهما بخط سيدي الحاج علي حرازم برادة(27) ونقلت منهما في تأليفنا كشف الحجاب وغيره بعض الفوائد، والذي

(23) 1 53.  
(24) 112

(25) 1 126.  
(26)

:

(27)

1218  
118 4 68  
5 255  
1  
.2

أتحققه أن هذين الكناشين غير معروفين لأحد، ولعلهما من جملة الأوراق في الخزانة المشار لها، ولا يفتحها إلا المنتظر عليه السلام.

أما بعض التأليف المنسوبة للشيخ التجاني رضي الله عنه سوى كتاب جواهر المعاني فهي لغيره، مثل توسل التجاني فيمن قتل ولده وشرحه، وشرح أسماء الله الحسنى، والتأليف الذي استفهمتمونا عنه فيما يتعلق بمفاسد العقول، وقد كنت وقفت عليه مطبوعاً، وليس ذلك من تأليفه قدس سره، وإن كان بعض أجوبته ووصاياه تضمنت أحكام بعض ذلك، فقد كان رضي الله عنه يحذر من استعمال تلك المفاسد التي ذكرت (28). أما سكر القالب فقد تركه ولم يعد لشربه وقال فيه : شيء تركناه لله لا نعود فيه (29)، ولم يمنع أصحابه من شربه، ولم يقل بحرمة القهوة والزعفران، وقد حذر من الدخان والتبغ ولم يقل بانقطاع الإذن في طريقته باستعمال شيء من تلك المفاسد، وغاية الأمر عنده فيمن تعاطى شيئاً منها أنه يجب عليه التوبة دون التجديد، مثل من صدرت منه معصية من المعاصي فإنه يتعين عليه تعجيل التوبة، ولا يقطع استعمال ذلك عن الطريقة.

وما زعمه بعض الفقهاء من أولاد سيدي نايل من أنه وجد رسالة لطيفة في ذلك بخط الشيخ رضي الله عنه فلا يبعد ذلك، ولعلها هي التي عثرت عليها، وليست من تأليف الشيخ قطعاً، وكونها بخط يده لا يدل على أنها من تصنيفه، لأن الشيخ رضي الله عنه في مبادئ أمره في طلب العلم كان يكتب بيده بعض الفوائد التي يقف عليها، وبعض التأليف التي يتوقف عليها ويستند إليها، فقد عثرنا على غيره بخط يده رضي الله عنه، وليس ذلك من تأليفه، ولا معنى لتكذيب من وقف على ذلك التأليف، إلا أنه على غلط في نسبة ذلك للشيخ رضي الله عنه، والله أعلم.

#### السؤال الخامس :

ما هو تاريخ آخر مرة جاء فيها سيدنا الشيخ رضي الله عنه من مدينة فاس إلى عين ماضي ثم إلى الأغواط ؟ ومن هم المبعضون بها بأسمائهم في ذلك التاريخ ؟ وهل هم من بني زيان فقط أم منهم ومن غيرهم ؟

الجواب : الذي نحفظه في آخر تنقلات الشيخ رضي الله عنه هو قدومه من الصحراء لفاس بتاريخ سادس ربيع الثاني عام ثلاث عشرة ومائتين وألف (30) ولم يرجع بنفسه إلى عين ماضي،

(28)

2 247-296.

.229

2 243.

(29)

1 52.

(30)

ولم نحفظ تاريخ رجوعه بنفسه إليها بعدما توفي بها الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدرماوي(31) عام 1204، وإنما كان يتردد إلى أبي سمغون والأغواط ما بين التاريخ المذكور وبين انتقاله لفاس، ولما ظهر أمره في تلك النواحي كان أصحاب الطرق يغارون منه، فكان أشد الناس إذاية له جماعة من أولاد سيدي الشيخ بين النبابلة والأحلاف، وأولاد صرغين، وأولاد زيان، وأولاد سيدي إبراهيم، وغيرهم ممن كان لهم الظهور في التلال والصحراء وغيرها، فكان يعاني منهم ما يعانيه كل فاضل محسود من حساده إلى أن استسلم جلهم إليه، وتاب غالبهم مما كان فيه يترامى عليه، ونحن لا نحب أن نجرح عاطفة محبيه بعدما حسنت نية أجدادهم فيه :

وذكر الجفا بعد الصفاء من الجفا      فلا ينبغي ذكر الجفا في ذوي الصفا  
فإن قلوب الناس أدنى إذاية      تؤثر فيها جفوة من ذوي الجفا

وقد كان الشيخ رضي الله عنه يشق عليه مؤاخذه المبغضين بما وعدوا به في المبشرات التي يبشره فيها النبي (ﷺ) يقظة ومناما في حق محبيه ومبغضيه. ولقد وقفت على كثير من مطالبه رضي الله عنه بخط يده يطلب من النبي (ﷺ) المسامحة لمن آذوه من الناس، فأجابه بما أدخل السرور عليه في حق بعضهم ونفوذ الوعيد في آخرين منهم. وكان أمر الله قدرا مقدورا.

#### السؤال السادس :

ما سبب انتقاد واعتراض المنتقدين على سيدنا الشيخ ؟ ومن هم الذين قامت قيامتهم بالنكير عليه في عصره بفاس وغيره من أهل المغرب ثم رجعوا عن غيهم وضلالهم وتابوا إلى الله واعترفوا لأهله ؟

الجواب : قد تقدم لنا في الجواب قبله ما يكفي في الجواب عن هذا السؤال، ولزيادة الإيضاح نقول : من المعلوم أن كل ذي نعمة لا يخلو من حاسد عليها أو حساد، والحسد هو أصل كل عداوة وبغض وحقد ونحوها من أمراض القلوب. ولما كان الشيخ التجاني رضي الله عنه أنعم الله عليه بما أنعم من فضل وعلم وولاية وقبول، وإقبال أهل الفضل عليه بين العامة والخاصة، أضمر بعض من انطوت قلوبهم على حسده بغضا وحقدا وما ينتج على ذلك، وما منحه الله به هو سبب انتقاد المنتقدين عليه بفاس وغيرها، وقد جرت عادة الله في خلقه أن كل من جاءهم بما فيه نفعهم إلا وعادوه، كما قال

(31)

(ﷺ)

1204

97

255

1

.160

3

.3

ورقة بن نوفل للنبي (ﷺ) : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي(32). وقد قامت قيامتهم عليه ظلما وعدوانا، وتقولوا عليه زورا وبهتانا، فمنهم من لم يفهم مقاله فتسارع للإعتراض عليه، وهو فيما اعترضه على خطأ، ولم يدعن لقبول الحق إذا كشف له عنه الغطاء، ومنهم من قلد غيره فيما تقوله عليه المتقولون. فصار معهم في ضلالهم يعمهون. والشيخ بريء الساحة مما يقولون. ومنهم من لم يقبل عقله ما نسب له من فضل تفضل الحق عليه به، وحجر على الحق فضله، فلم يسلم كون الحق جعله أهلا له، فقام ينكر على ما صوره عقله مما تبدى له في صورة الباطل وهو حق، وجعل الحق في حيز الباطل، وإنكاره إنما هو على ما صورته مخيلته عند المحق. أما الذين رجعوا عن غيهم واعترفوا بفضل الشيخ رضي الله عنه من أهل فاس فكثير ممن كان لهم الظهور من علماء عصره، طبق ما تعرضنا لهم في تأليفنا : كشف الحجاب عن أخذ عن الشيخ التجاني من الأصحاب(33). ومن أراد الإطلاع على تراجمهم فليراجع فيه كفاية.

### السؤال السابع :

ما حقيقة خاتم الولاية العامة والخاصة ؟

الجواب : اعلم أن أهل الله العارفين به لهم اصطلاح خاص بهم فيما يخوضون فيه من المعارف ويرتقون فيه من المراتب، على قدر اختلافهم في المشارب، فكانت الولاية لديهم عامة وخاصة، ولها مقامات، ولكل صاحب مقام منها اسم أو لقب أو كنية يمتاز بها عن غيره ممن حل في مقام منها بحسب الترقى والتدلي. فكان منهم القطب والغوث والبدل والنقيب والنقيب والختم، وغير هؤلاء من أصحاب المراتب الخاصة على الجميع السلام. فالقطبانية مثلا من حل في مرتبتها يسمى قطبا، إما قطبا جامعا، أو قطب دائرة من دوائر الولاية العامة أو الخاصة، سواء كان من المتعددين أو المتفردين، وهكذا الشأن فيما بقي من المراتب مثل الختمية والكتمية والمهدوية، فكل من حل في مقام من هذه المقامات سمي بمظهره. فمن حل في مقام الختمية سمي بالخاتم، وهكذا من حل في المهدوية يقال له مهدي، وليس المراد بالخاتم أنه لا يوجد ولي معه أو بعده، ولا بالمهدي لا مهدي بعده. وإنما المراد بالخاتم من حل في مرتبة الختمية إلى أن تختم بعيسى عليه السلام، ثم بخاتم الأولاد الذي لا ختم بعده. وهكذا الشأن في المهدي إلى أن يظهر المهدي المنتظر قرب الله زمانه.

وبما بيناه هنا لم يبق إشكال في تعدد الختم وتعدد المهدي ونحوهما. لأنهم أصحاب مراتب لم يخل من صاحبها في كل زمان. وتلك المراتب متفاوتة في العلو والإرتفاع في الخفاء والظهور، وقد انفرد بكمال الظهور فيها من خصه الله به مثل الشيخ التيجاني رضي الله عنه، فهو خاص بكمال الظهور في الختمية، فلم يحل أحد من الأختام في المحل الذي حل فيه، بما خصه الله به من ذلك الكمال، كما خص الحق بكمال الظهور في المهدوية المهدي المنتظر الذي نوهت الأحاديث به، وكل من أخبر بأنه ختم أو أنه مهدي، أو اجتمع بواحد منهما، وإن احتمل أخباره الصدق والكذب فلا معنى



## السؤال الثامن :

هل يؤاخذ حضرة سيدنا الشيخ رضي الله عنه بما يقوله فيه ويدعيه الغالون، وينسبه له الجاهلون من أهل الإعتقاد، أو يتقوله عليه ويدعيه عليه المفسدون من أهل الإنتقاد، أم هو برئ من مساوي ودعاوي الفريقين كبراءة سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من مقالات ودعاوي اليهود والنصارى لعنهم الله، وبراءة سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام من مقالات ودعاوي الخوارج والروافض أخزاهم الله ؟

الجواب : إن الحق سبحانه حكيم، قد أخبرنا بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وهذه قاعدة منسحب حكمها على كل من لم يرضى بما يقال أو يعمل باسمه، يسمع ويرى أو يبلغه ذلك فلا يسكت على المنكر المنسوب إليه، أما إذا رضي بذلك المنكرات المستكرات شرعا ورضي بها وأقرها فهو كالقائل بها وعاملها، فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما في الحديث، ومن المقرر المعلوم أن أصحاب الغلو من جهلاء الأمم وأصحاب الإعتقادات الفاسدة ومن في معناهم قد نسبوا للحق ما لا يليق به، بما ظنوا أنهم مصيبون فيه، يرجون بذلك تعظيمه وعبادته، ومع ذلك يعاقبهم الحق على ضلالهم وإضلالهم لنسبة ما لم ينسبه لجنابه الأقدس، ولم يؤاخذ الأنبياء والرسل والملائكة المبلغين للأمم التي خالفتهم في العمل بما بلغوهم، واعتقدوا فيهم ونسبوا إليهم ما لم يرضوه منه، مثل عبدة عيسى عليه السلام، فهو غير مؤاخذ بما قيل فيه، ولا أن أمه مؤاخذة بما قيل فيها، ومثل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهو غير مؤاخذ بما قال فيه غلاة الشيعة (39)، ولقد قاتل رضي الله عنه بعضهم قيد حياته. وقد تبرأ سيدنا عيسى عليه السلام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله طبق ما أخبر الحق سبحانه عنه بقوله : "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق" (40). وقد قال العلماء في تفسير قوله تعالى : "إنكم وما تعبدون من دون الله" (41). أن المشركين مع جميع معبوداتهم في النار ماعدا عيسى عليه السلام، وإن كان معبودا لأهل الضلال من المشركين به فإنه غير داخل في المعبودات، لكون الحق تعالى أخرجه بالتعبير بلفظة ما الواقعة على غير العقلاء، ولذلك لم يقل إنكم ومن تعبدون، فإن لفظة من موضوعة للعاقل، فإن قيل : إن بعض المعبودات من العقلاء قد دخلت للنار مع عابديها، فما بال سيدنا عيسى لم يدخل النار؟ وكذلك أمثاله من المعبودين مثل سيدنا علي كرم الله وجهه ؟ قلنا إنه لم يرضى بما اعتقدوه فيه ولم يأمرهم بذلك الإعتقاد الفاسد، مثل الشيخ رضي الله عنه، لم يأمر الجاهلين من أصحابه وإخوانه بما تغالوا فيه وتقولوا عليه بما يخالف الشريعة المطهرة، فإنه لم

(39)

يرضى بذلك، فهو إن شاء الله غير مؤاخذ بذلك قطعاً، على أننا لم نرى ولم نسمع في حق الشيخ رضي الله عنه من المعتقدين فيه من جهلة الطريقة ولا علمائها ما هو ضلال أو يفضي إلى ضلال.

وغاية الأمر فيما يشيعونه عليه أو يتقولونه فيه لم يصل إلى وصفه بالنبوة فضلاً عن الألوهية، ولا ما يطعن في الشريعة أو يخالف شيئاً منها ونحو ذلك، وغاية ما يستكره المنكرون عليه وعلى أهل طريقه بعض الفضائل والمناقب ونحوها مما لا تسعه حوصلتهم، سواء صدرت منه أو منهم، أو نسب إليهم بنقول عليهم، فإن فضل الله غير محجر عليه فيه، والله ذو الفضل العظيم، وكان من اللائق بل المتعين على المنتقدين الإشتغال بأنفسهم وإصلاح أحوالهم خير من الطعن فيمن لا يقبلون منهم ما يقولون، ولا يضرهم ما إليهم ينسبون ويتقولون، إما لجهل المنكر، وإما لخطئه في فهم ما ينكر، وإما لتحويل الكلم عن مواضعه قصداً للتضليل، والله عليم بالمفسدين، ولو أن كل جزئية مما ينسب للشيخ أو لأهل طريقه، مما يشيعه الناس عنهم سواء كانت النسبة إليهم صحيحة أو غير صحيحة نظر إليها المنصف بعين الإنصاف لم يجد منها ما يخالف الحق في شيء، وللعارف بأحوال أهل الله بما أعطيه من نور الفراسة تحقق بما ينسب إليهم، ويميز بنفسه من ذلك الحق والباطل، فيحكم على ما يخالف الشرع بالبطلان، وعلى ما لا ينافي الحق بعدم الإستحالة لمن ينسب إليه، لعدم عصمة غير الملائكة والأنبياء عليهم السلام، سيما في حق من يتبرأ من كل ما يخالف ما يعمل به في خاصة نفسه ويرشد إليه محبيه.

وقد قيل للشيخ رضي الله عنه أيكذب عليك؟ فقال رضي الله عنه: إذا سمعتم مني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالفه فاتركوه (42) ولولا أنه متحقق بأنه يكذب عليه لم يتبرأ مما ينسبه إليه المختلقون، وهو يصرح بالتبري مما عليه يتقولون، أو يصدر منه ما الناس فيه مختلفون، ولا شك أن من يتبرأ من الباطل ويعلم الله صدق نيته وبرأته منه أنه لا يؤاخذ به طبق ما جرت عليه أحكام الشريعة ظاهراً، ونحن نحكم بالظاهر. وأما في الباطن فالحكم لله، فله أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وما بعد هذا من مزيد، والله الموفق.

### السؤال التاسع :

ما قولكم في إحياء الموتى كرامة للأولياء؟ هل هو جائز عقلاً ونقلاً أم لا؟ وهل صح وثبت وقوعه في حضرة الشيخ أبي العباس التجاني، أو وقع من أحد سواه؟ وهل ثبتت في شيء من الأدلة الشرعية أن من اعتقد وقوع ذلك كرامة للأولياء يكون كافراً حلال الدم والعرض، وليس هو من المسلمين أم لا؟



الجواب : من المقرر في علم التوحيد أن كل ما كان معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي، وقد أحيا الله الموتى لعيسى عليه السلام، فلا جرم إذا أحيا الله للأولياء الأموات بحكم التبعية، غير أنه لم يبلغنا عن الشيخ رضي الله عنه أنه وقع له ذلك، ولم يذكره أحد من أصحابه في تعداد كراماته، وليس في ذلك إن صدر منه ما يوجب النكير عند العالمين بما يمنح الله به أوليائه، وقد وقع ذلك لغير واحد ممن ثبتت كراماتهم، وكاد ذلك أن يكون متواترا عنهم، كإحياء الدجاجة التي كان يأكل منها المولى عبد القادر (43) رضي الله عنه حين قال لها : قومي بإذن الله فأحياها الله له، وذلك من الكرامات التي لا ينكرها إلا القاصرون عن إدراك حقيقة الولاية وسرها الخاص الممنوح لأهل الله وأوليائه، ولم يرد في الأدلة الشرعية ما يقضي بفساد عقيدة من اعتقد ذلك، ولا ينبغي لأحد أن يتسارع لتكفير من يعتقد ذلك كرامة للأولياء، لأن منكر ذلك ربما يعد في حيز من يكذب بآيات الله، وقضية قصة بقرة بني إسرائيل ونحوها ناطق بذلك بما لا سبيل لإنكاره، ومن أراد إباحة دم المعتقدين لهذه الكرامة وغيرها من الكرامات، وإباحة أحوالهم وأعراضهم فهو المستحق لإباحة الدم والعرض والمال، ولا حول ولا قوة إلا بالله في التسارع لإخراج أهل الإيمان من الإسلام من غير موجب لذلك.

وإنا لله وإنا إليه راجعون من أقوال الجهلة ومن في معناهم من المتظاهرين بالعلم بينهم، وانتصار أمثالهم لهم من غير دليل شرعي ينتزل على موضوع القضية التي يضلل الجاهل فيها غيره عن غير خبرة، فانتهاك طلبه العلم قبل تحصيلهم للعلم النافع جناب أهل الله، فحرموا من التعرف بهم لسوء ظنهم في الصوفية بما شهدوه مما هم فيه من إرشاد العامة لذكر الله والقيام بشكر نعم الله التي لا تحصر ولا تحصى، والسلوك بهم على النهج الذي لم يرتضيه منهم هؤلاء الدخلاء في زمرة العلماء العاملين، فوصفهم بما يحق أن يرجع المكر السوء فيه لمن أساء الظن فيهم من هؤلاء المعرضين المعرضين عن الجادة، على أن شيوخ الطرق رضوان الله عنهم غير معصومين من الشهوة البشرية وحب الجاه والمال لأغراض لا ينبغي الطعن فيهم من أجلها، ولم يطلع الطاعن على المقصود منها، ولا هو مكلف من جهة الشرع بالتسارع لإنكار ما يراه منكرا من غير أن يقف أمام الخائضين فيهم موقف الحياد وهم يدعون إلى الحق بالحق لإرشاد الخلق، عاملين بمقتضى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما هو راجع إلى هذا السبيل في الدعاية العامة والإذن الخاص في ذلك للخواص.

وليس في هذا وما أشبهه من مخالفة الجادة عند العارف بها، مع تحقق مخالفة مذهب بعضهم لبعض، والخلاف كما يقول العلماء رحمة بالعباد في سبيل الرشاد، ولكن هناك نقطة هي مركز الدائرة في حمل القاصرين على الإنتقاد على الكاملين من أهل الله الواصلين، وهي بخش رجل ضابط دائرة

(43)

:	561	471	( ) -	
	52	1	121	11
	47	4	2	2
937	429	2	132-126	1
.371	5	198	4	

الحسد لمن تصدروا للإرشاد بإقبال العامة عليهم وخدمة جنابهم، وبذل المال لهم، والتعجيل بقضاء أغراضهم، والعمل بما يأمرونهم به، وليس في هذا عند العقلاء ما يوجب الحقد على أهل هذه المناصب، ولو أخذوا الأموال من مرديهم والمنتسبين في طريقهم إليهم حتى صيرهم الله في حيز الأمراء، مع أن رتبة أهل الله أعلى من الفقراء لكونهم من خدام الحضرة التي يُعزُّ ويُجلُّ خادمها، وقد قالوا : من خدم المولى خدمته العبيد، زاد الله في عددهم ومددهم وجعلنا منهم بمنه آمين.

#### السؤال العاشر :

ما قولكم في تصريف الأولياء رضي الله عنهم في ملكوت الله وملكه بإذن الله هل هو جائز عقلا ونقلا أم لا ؟ وهل من اعتقد في أولياء الله تعالى أنهم يتصرفون بالله في الإنس والجن والملائكة وسائر ملكوت السموات والأرض، وينفعون ويضرون بالله على سبيل الكرامة لهم من الله يكون كافرا مباح الدم والمال أم لا ؟

الجواب : إن الذي أعتقده وأدين به أن تصرف الأولياء في المكونات هو بإذن الله، ويتعين على من يؤمن بالقرآن أن يعتقده وإلا كان مكذبا بما صرح به القرآن، فإن إيمان نبي الله سيدنا سليمان عليه السلام أتم من إيماننا، لأنه نبي، ولا يفوق غير النبي في المعرفة بالله النبي، ولولا أنه يعلم ويتحقق بأن الحق تعالى صرف في الكون الأولياء ما طلب إحضار عرش بلقيس من حاضريه لديه، وهو ببيت المقدس والعرش بسبأ، وبينهما مسيرة نحو شهرين، فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك(44) وأحضره له بإعدامه من سبأ وإيجاده في بيت المقدس، على وفق ما طلبه نبي الله سليمان عليه السلام.

ومثل هذا تصرف الأولياء، وليس فيه إشراك مع الحق في التصرف في الخلق، لأن الولي غير مشتغل بالتصرف، بل تصرفه بالله، ولا بأس في نسبة التصرف إليه كما في نسبة الفعل للفاعل اصطلاحا، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وهو واضح لكل من ألقى السمع وفهم المعنى المقرون باللفظ في الوضع، وكأن المنكر على الأولياء في التصرف في الكون لم تخطر بباله هذه الآية، وكم لها من نظير، من الوارد عن الرسول البشير النذير، عليه السلام، وبها زال الإشكال، والعلم للكبير المتعال.



الجواب : إن غالب الطرق بالمغرب الأقصى يرجع سندها إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي(52) رضي الله عنه، وطريقته هي الأصل الأصيل في السلوك على قدم التربية بالتخلية والتخلية، وبالهمة والحال في السلوك في مدارج الترقية، وجميع الطرق المتفرعة عنها مؤسسة بالإذن الخاص والعام باتباع ما جاء في الكتاب والسنة، وقليل من قليل المريدين الصادقين فيها من خرج عن المنهج القويم، بالمحافظة على السند في العمل بما جاء به الشرع إلى الوقوف على عين الحقيقة في سلوك الطريقة، وهكذا من سلك على الطريقة القادرية التي يرتفع سند بعض الطرق إليها إلى بلوغ المقصد، وأن إلى ربك المنتهى، فيما تحرز عليه هذه الطرق من المدد في السير على قدم الجد والاجتهاد، في كل من انتسب من فروع هذين الطريقتين، وغيرهما من طرق الصوفية الذين لهم حسن اقتداء بإمام الطائفة الجنيد(53) رضي الله عن الجميع، ومن أهل الله من تظاهر بطريقة خاصة به بالإذن الخاص من الحضرة المحمدية، مثل طريقتنا المحمدية التجانية، فهي غير متفرعة عما ذكرناه، وإنما تلقاها الشيخ قدس سره عن النبي (ﷺ) مشافهة، وأخبره بأنه لا منة لأحد من الشيوخ عليه في طريقه التي أمره بتلقيها لأحبابه ومريديه، وستكون أما لطرق عديدة متفرعة عنها طبق ما نص عليه الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة في الرسالة الشامية(54) وقد ذكرتها برمتها في تأليفنا رفع النقاب في ترجمته، ولا يخفى عنك أن طرق الصوفية مع تعددها منزلة المذاهب، يرجع الجميع إلى طريقة واحدة، وهي التي كان عليها النبي (ﷺ)، وتبعه فيها

(52)

591

4	309	4	2	656
			234	7
	620		186	.305
	259	2		85
				1
				.57
				14

(53)

			297	
	255		10	84
	141	2		241
				.235
				2

(54)

1208

: 130

أصحابه رضي الله عنهم، وكل واحد من الصحابة قدس سرهم بمنزلة شيخ طريقة متفرعة عن الكتاب والسنة، ورحم الله البوصيري(55) حيث يقول في حقهم رضوان الله عليهم :

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم صلحاء

فلا ينبغي أن يعترض أهل مذهب على مذهب آخر فيما لا يخالف أصلا من أصول الشريعة، وهكذا بقية الطرق، إلا أنه قد حدثت في جل الطرق حسب الأغراض مخالفة الشيوخ فيما دلوا عليه مرديهم، فوقع الإنكار عليهم بما ترمى فيه المبغضون على الشيوخ البرءاء بما نسبوه إليهم، أو تقولوه عليهم طبق ما أشرنا إليه سابقا، فحرم الله أهل الإنكار ومن في معناهم من غلاة المرديين من النفع التام والفضل المنوط بالإتباع للمحققين من أهل الإعتقاد الجميل وحسن الظن، وللسالكين في هذه الطرق مشارب، وكل يعمل على شاكلته، على أننا لا نقول بعصمة الشيوخ ومرديهم من عدم صدور خطئ منهم في بعض ما يعتقدونه، أو يعملون به أو يقولونه، فإنما العصمة للأنبياء والملائكة، وإن كان بعض الأولياء محفوظا من الوقوع في الخطأ والخطايا، إلى درجة تكاد أن تكون عصمة في حقهم بعد تمكنهم في مقام الولاية، ولكن لا يصلون إلى مقام النبوة فيها، وقد تغالى بعض المنتسبين لبعض الطرق فخالفوا شيوخهم بالمرّة. وليس لهم مما كان عليه شيخهم سوى الإنتساب إليه بما تلبسوا به من البدع الضالة، وطريقة شيخهم بريئة منهم، ولا تعين أهل طريقة من هذه الطرق، فإن المعين مبتدع مخالف بجرح العواطف، لما كان عليه المشرع عليه الصلاة والسلام من ستر العورات، والإشارة بطرف خفي للهفوات، ليجتنبها المتلبس بها.

وأما العدد الذي بلغت إليه الطرق في مغربنا، فلا يمكن حصرها بعد الشاذلية والقادرية وما قبلهما من طريقة الجنيد رضي الله عن الجميع، لأن فروعها كادت أن تنفرد بالتسمية بمن ظهر فرع منها على يديه، فإن الجزولية مثلا تنسب إلى العارف سيدي محمد بن سليمان الجزولي(56) لظهور

(55)

105	3	696
205	2	139 6
		.70 7

(56)

869

122-57	4	203 16
165 1		151 6
.258 7		.317

أورادها على يديه مع كونه شاذلياً، وهناك طريقة جزولية أخرى منسوبة لغيره، وقد تفرعت بعده إلى فروع مثل الشاذلية، حتى كادت أن تتسى الطريقة الشاذلية باشتهار بعض ما تفرع منها من الطرق، وهكذا الشأن في غيرها من الطرق التي ذكرتم في السؤال مع أن أصلها الأصيل الشاذلية والقادرية. وما ينسب إلى الجنيد إلى ما قبله من أئمة الدين من الصحابة فتابعيهم رضوان الله عن الجميع. ولسنا ممن ينصب موازين القسط في تفضيل طريقة على أخرى من الطرق التي ذكرتم والتي لم تذكر، مع تحققنا بأن مقاصد شيوخها قصد واحد، وهو الأخذ بيد مريدهم بوصوله إلى حضرة الحق الأعلى، ولم يضمنوا مريديهم من عدم صدور مخالفة شرعية منهم، فإن الهداية بيد الله. وقد كنت شرعت في تويلف صغير سميته بتتوير الأفق في الطرق (57) فذكرت منها ما يزيد على الستين طريقة بذكر أصولها وفروعها باختصار، ولعل الله يبسر وقتاً لإتمامه وإخراجه من مبيضته للإنتفاع به.

أما حكم جميعها في دين الإسلام على مذاهب أهل الحق فهو منوط بها بحسب سلامتها من البدع التي لم تكن في عهد النبي (ﷺ)، ولا في عهد أصحابه ولا في عهد أتباعهم، فإنه لا خير فيما لم يكن موافقاً لهم، وليس من البدعة في شيء ما لم يخالف ما كانوا عليه مجتمعين أو منفردين بما هو مقرر أصله في الدين. وقد تغالى هنا بعض العلماء الذين تظاهروا بالانتصار للكتاب والسنة بحسب مبلغهم من العلم وما لديهم من النصوص، بغض الطرف عنهم فيما تقيدوا به من حبل مذهب من المذاهب، فتسارعوا إلى الإنكار على أهل الطرق في سلوكهم فيها بالوقوف مع ما عملوه أو فهموه، لا غترارهم بما عرفوه، وغرورهم بمعلوماتهم، فيما قامت قيامتهم فيه بالطعن والانتقاد والإنكار الموصل ذلك إلى ما لا تحمد عقباه، في التكفير والتضليل لأناس برأهم الله ما قالوا، وفيه عليهم قد استطالوا، فوقعوا في أشد مما وصفوا به غيرهم بذلك الإنكار، وكان الأولى بهم أن لا يحوموا حول هذا الحمى الذي وقع جلهم فيه بما أظهره مما أضمره فيهم بفيه، فإنه قد تقرر لدا أهل الحق من أهل السنة والجماعة عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه، والكف عن تكفير المسلمين ممن لم يحيطوا بالشرعية أولى، وإدخال ألف كافر لم يتجاهر بالكفر بانتتمائه للإسلام أولى من إخراج واحد من المسلمين ينتسب للإسلام، وبالأخص في حق من تبرأ من الكفر وأهله، وبالله التوفيق.

### السؤال الثاني عشر :

الرجاء من فضلكم الإخبار بما أنعم الله به عليكم من التأليف وما هي أسماؤها وكم بلغت عدتها إلى الآن، لأنني في شوق عظيم واشتياق كبير إلى الإطلاع عليها، وفي أي مكتبة توجد، وقد اطلع هذا العبد الحقيير على عشرة منها بواسطة محب الجميع المقدم الحاج إبراهيم بن الحاج يحيى المغربي، المقيم عندنا الآن بالأغواط.

(57)

:

...

الجواب : إن عدد التأليف التي أنعم الله بها علينا يناهز مائة وأربعين تأليفاً، وقد اقترح علي بعض أحبائنا تجريد أسمائها ببيان موضوعاتها، فشرعت في تويلف سميته بالترصيف بما لمؤلفه من التصنيف(58)، وغالب هذه المؤلفات في فقه الطريقة التجانية وفضائلها والدفاع عنها وعن غيرها من طرق أهل الله، غير أنها لو جمعت كلها في أجزاء ما بلغت جزءاً واحداً من المجلدات الضخمة، من تأليف من مضى من أعلام الأمة، وإنما هي من باب ما يقال في المثل : كثرة العد وقلة القبض، وليس هذا من باب التواضع والتنزل الموهوم، وإنما هو إخبار بالواقع. وقد تحقق عندي أنني من المغرورين بالإنشغال بها، حيث أنها ستكون حجة علي، ويا ليتني أخلص منها فتكون لا علي ولا لي، ولكن نرجو بركة أصحاب النية الصالحة أمثالكم أن يجعلها من صالح الأعمال النافعة في قيد الحياة وبعدها.

وقد طبع منها نحو الثلاثين، وضاع منها نحو العشرة باختلاس بعض المجرمين، والباقي منها قد استخرج بعضه من مبيضته، وجله مازال في دور التنقيح، حيث أنه إلى الآن لم يتم تصنيفه بعد الشروع فيه، والأيام تتطايير من غير فائدة حصلت لي منها سوى الشهرة التي أخشى منها أن تكون هي الحظ المشار له بقول السري السقطي(59) لابن أخته الجنيد حين قال له : ما الشكر يا غلام ؟ فقال فيه : هو أن لا يعصى الله تعالى بنعمه، فقال له السري : أخشى عليك أن يكون حظك من الله لسانك، فنرجو من الله أن لا يواخذنا بعدم إخلاصنا، وتداخلنا في الفضول وفيما لا يعني أمثالنا بانتقاصنا، واستغفر الله أيضا من بخسي لأشياء الناس، والتلبس بالإلتباس، ونحمده على التوفيق، وما توفيقى إلا بالله. وإني لا أرى بأساً في ذكر أسماء بعضها مساعدة لاقتراحكم، فمما سرق منها وخرج من يدي : شحذ الأذهان فيما شاهدته في وهران ومستغانم وتلمسان. ومنها نزهة خاطر في اضمحلال الثائر(60). ومنها الواردات العرفانية، ومنها الجزء الأول من نيل الأمانى في الطب الروحاني المروي عن الشيخ التجاني. ومنها القول الجلي الموجه إلى العارف الشيخ محمد بن علي، ومنها الدر العزيز الموجه إلى القاضي الشيخ بناني عبد العزيز. ومنها لباب اللب في الجواب عن أَلغاز بن لب، عوضني الله عنها خيراً منها.

(58)

(59)

74	1	253
116	10	55-48
.13	3	82
		3
		:
		(60)

.412-399	1	1327	5
----------	---	------	---

ومن مؤلفاتنا التي نرجو النفع العميم بها(61) : الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة بشرحها، وهي أول ما طبع منها عام 1317هـ ومعها إيقاظ المتعلم والناسي في بيان القلم الفاسي، ومنها الروضة اليانعة شرح منظومتنا لصرف الجامعة، ومنها منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في علمي العروض والقوافي، ومنها نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم، مع شرحها كشف الغوم وإلى الآن لم يتم، ومنها كشف الحجاب في تراجم من تلاقى مع الشيخ التجاني رضي الله عنه من الأصحاب. وقد طبع مرتين فنفذ، ولم تبق تحت يدنا منه ولو نسخة واحدة، وقد أدرجته الجمعية الجزائرية في جامعة كليتها، ومنها رفع النقاب بعد كشف الحجاب، طبع منه الجزء الأول، ومنها الكوكب الوهاج في شرح ذرة التاج في فقه الطريقة التجانية، مطبوع أيضا.

ومنها نور السراج في شرح إضاءة الداج في الطريقة التجانية وهو مطبوع أيضا، ومنها تنبيه الإخوان في كون الطريقة التجانية، لا تلقن إلا منفردة طول الزمان، ومنها عقد المرجان الموجه إلى الشيخ ابن سليمان، ومنها نصيحة الإخوان، ومنها المنفرجة، وقد شرحها العارف بالله التادلي بشرحين أحدهما طويل الذيل في نحو عشرة كراريس، والآخر صغير على شكل بديع في إفراغها في قالب الحكم، كما شرحها العلامة الخليفة في القطر السنغالي الشيخ الحاج محمد أنياس.

ومنها الراية العرفانية وهي قصيدة من الشطحات السكيرجية شرحها العارف التادلي المذكور شرحا بديع الصنع، ومنها الشطحات السكيرجية مطبوعة، ومنها السحر البابلي الموجه إلى الشيخ محمد التادلي المذكور، ومنها اليواقيت العرفانية في الجواب عن بعض الأسئلة المنوطة بالطريقة التجانية، جمعها المقدم الشريف الأمغاري التطواني، ومنها الدر المكنون في الأجوبة عن أسئلة الفقيه السيد محمد شاشون الطنجاوي، ومنها طرق المنفعة في الجواب عن الأسئلة الأربعة، ومنها النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية، عن أسئلة الشيخ عبد العزيز الدباغ الأمدرماني من أعلام السودان مصر.

ومنها زهر الأفانين في الجواب عن الأسئلة الثلاثين له أيضا، ومنها كشف البلوى في الرد على مدير جريدة التقوى، ومنها كفاية العاني في الطب التجاني، ومنها السر الرباني في الرد على الخارف الجاني، ومنها الصراط المستقيم في الرد على مؤلف النهج القويم، ومنها سبيل الرشاد في المحاوراة بين ذوي الإنتقاد وذوي الإعتقاد، ومنها تاج الرؤوس في التجول في أنحاء سوس، ومنها الرحلة الحبيبية الوهرانية، ومنها الرحلة المكية، ومنها الرحلة الزيدانية، ومنها فتح الباري في المذاكرة مع العارف بالله عمي الحاج محمد الزكاري(62) ومنها نظم نقاية السيوطي، ومنها بستان المعارف في بعض المواقف، ومنها النكات الخفية في الكلام على أبيات في الكافية أحسن مما في الخلاصة الألفية، وإلى الآن لم يتم، ومنها مطلع الأسرار في شرح الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة. ومنها شرح الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة أيضا، ومنها تحويل همزية البوصيري إلى كافية كاملة، ومنها تحويل البردة إلى همزية وتشطيرها وترصيفها بإدراجها باللفظ في همزية مفتوحة وتخميمها،



ومنها مورد الصفا في نظم الشفا للقاضي عياض، ومنها الذخيرة للأخرة في الأمداح المحمدية، ومنها الفتوحات الربانية في الأمداح التجانية.

ومنها شرح العمل الفاسي باختصار وإلى الآن لم يتم مع محاذاة لامية الزقاق، ومنها مجموع النوازل الفقهية، ومنها البلاغ الموجه إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ، ومنها السحر الحلال في مدح سيد الرجال، ومنها المعشرات في مدح سيد المخلوقات، ومنها جنانية المنتسب فيما نسب للشيخ التجاني بالكذب، ومنها قررة العين في الجواب عن الأسئلة المستودعة في خبيئة الكون، ومنها نهج الدراية في ختم الولاية، ومنها نظم إحياء الغزالي إلى الآن لم يتم، ومنها نظم كتاب جواهر المعاني وإلى الآن لم يتم، ومنها يواقيت المعاني في مذهب الختم التجاني، ومنها جنة العاني في تراجم بعض أصحاب القطب التجاني، ومنها كنز الأسرار في الكلام على دور الأنوار للواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي وإلى الآن لم يتم. ومنها السر الباهر بما انفرد به الجامع عن الجواهر، ومنها طرق النفع في تراجم من أخذنا عنهم الفاتحة بقراءة البدر السبع، ومنها كشف الغمة في الكلام على حديث الرحمة.

ومنها رياض السلوان في تراجم من اجتمعت بهم من الأعيان، ومنها الرحيق المكتوم في جمع بعض القصائد التي مدح بها القطب المكتوم، لم يتم إلى الآن، ومنها الياقوت والمرجان فيما اتزن من القرآن، ومنها حسن الخاتمة لمحبة فاطمة، ومنها تحفة الأنام بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام، ومنها الأبناء في نصح الأبناء، ومنها الدر النفيس من نظم العلامة بنيس، ومنها قدم الرسوخ بما لمؤلفه من الشيوخ، ومنها مجموع الفهارس لمن أجاز به، ومنها إذهاب المعضلة بتراجم نحوية مستتبطة من البسمة، ومنها الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح، ومنها نظم الخصائص الكبرى للسيوطي، ناهز الآن ثلاثة آلاف بيت ولم يتم، ومنها مفتاح الفتوحات المكية لم يتم إلى الآن، ومنها كمال الفرح والسرور بمولد منبع النور (ﷺ) ولنكتف بذكر هذه المؤلفات عما بقي، ومن أرادها مفصلة بما انطوت عليه فليطالع الترصيف الذي اقترحه علينا بعض الأحياء، وإلى الآن لم يقدر لنا استخراجها من مبيضته، وبالله التوفيق.

### ملحق بالأسئلة

وأما قولكم هذا وقد أمرني شيخنا الأستاذ المربي الجليل العلامة المحقق الرباني، أحد سيوف الله وحججه على المنكرين، مولانا الشيخ سيدي سليمان الغريب، حفظه الله تعالى وأدام حياته لنصرة الإسلام ونفع المسلمين وهداية الضالين، أن نكاتب حضرتكم في شأن كتبكم، بعد أداء واجبات التحية الفائقة لذاتكم الشريفة، والاحترام لكم والإجلال والإعظام، وفي يده تأليف ألفه في الذب عن حرمة الإمام الرباني سيدي أبي العباس التجاني، قدس الله سره النوراني، والدفاع عن طريقته، وتوقف في تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالطريق، وقد كاتبت حضرتكم في شأنها وشأن كتبكم مرارا عديدة بواسطة المقدم سيدي الحاج إبراهيم، ولم نتكروا على جنابه بجواب أصلا إلخ ...

فليعلم جنابكم أولاً أنه لم يصلني كتاب من حضرة الشيخ المذكور، ولو وصلني منه ذلك لجعلت جوابه قبل كل جواب اعتناء بسيادته، وأداء لواجب إجابته، وبكل أسف عدم وصول مكاتبه إلي كما يقع ذلك من بعض أفاضل الأحابب والإخوان، وربما تغير خاطرهم في عدم وصول جوابي لهم، ولا علم لي بمكاتبتهم لنا، ومن كانت محبته ليست لغرض فلا يتأثر لذلك، ومن كان له غرض فإنه يتأثر لأدنى سبب، ولعله بلا موجب للعداوة انقلاب، كفانا الله وإياكم إعراض أصحاب الأغراض، وإني لأقدم إليكم معذرة في عدم تعرفي بالشيخ المذكور، وعدم وصول كتاب منه إلي، وإلا لسارعت بالجواب كما هو الواقع طبق ما أشرنا إليه، وإني لفرح مسرور حيث لم يتأثر لذلك حتى أعدتم الكتابة لنا بأمره، وإني مستعد لإجابته عن كل ما توقف فيه من مسائل الطريق، ولقد وقع مني موقعا كبيرا ما شوفتنا إليه من التأليف الذي ألفه في الذب عن الجنب المحمدي جزاه الله خيرا، شاكر ما وفقه الله إليه في القيام بهذه المأمورية الموعود صاحبها بالنصر، بصادق الوعد الحق "إن تتصروا الله ينصركم" (63).

وقد أحسن الله إليه في اختيار موضوع تأليفه، وما أجدر ذلك بالمؤلفين في هذه الطريقة، فإن الرد على المنتقدين أولى من اشتغالهم بتأليف المؤلفات في فضل الطريقة ومناقب شيخها وأهلها، خصوصا في هذا الزمان الذي نقص فيه الإيمان، وتحزبت فيه أحزاب الشيطان على أولياء الرحمان، وقامت أصحاب البدع بالنكير على المتبرئين (64) منها، غير أنه يتعين على العلماء العارفين بمقاصد المنتقدين أن يسلكوا في الرد على المبغضين سبيل الهداية بالرفق في محله والعنف لأهله، والإستدلال بغير كلام الشيخ رضي الله عنه في رد ما يطعنون به في الطريقة وأهلها، والمتمسكين بحبال الصوفية في السلوك على طرقهم لنيل فضلها، فإن الخصم لا يقبل كلام من يطعن فيه، ولو كان من عند الله فإنه يقول هو من عند غير الله، أو يحول معنى ذلك لمعنى يطابق هواه، كما جرت عليه أعمال المبطلين المنكرين للحق من غير موجب لإنكاره سوى ما أشرنا إليه.

والحاصل أن ما قام به الشيخ الغريب زاد الله في معناه هو من المؤكد على أهل العلم موافقته عليه، والنهوض لنصرة الحق مثله في الرد على من يعادي الأولياء ويعاندهم بالباطل فيما قاموا به من الإرشاد في طرق الإهنداء، والله الموفق، وأما ما ذكرتموه لنا من اقتراح الشيخ الغريب المذكور من طلب الإجازة منا له فيما لدينا بشروطها في مرويائنا في سائر العلوم العقلية والنقلية والأصولية والفرعية شريعة وطريقة، وفي كل ما صح نسبته إلينا من التأليف وغيرها في سائر العلوم والفنون والمعارف، مع الإقبال عليه بالقلب والروح إلى آخر ما ذكرتم، فلقد خجلنا من اقتراحه منا ما حق لنا

---

(63) : 8.

(64)

أن نقترحه لأنفسنا من أصغر طالب منتسب للجناب المحمدي التجاني، بما لنا من جميل الاعتقاد في الجميع، حيث أن سائر الإخوان رضوان الله عليهم ما فيهم صغير :

وكل مرید منهم في العلا علا  
وإني وراء الكل أمشي مقبلا  
على غيره من غيرهم في العلا عال  
لأقدامهم ما عنهم حلت في حال

وكأنني بهذا السيد أراد اختباري فيما أنا عليه من الدعوى المريضة فيما ينسبه إلى الأحباب والمحبون من مزايا، وأخشى أن تكون رزايا، إلا أن يتداركني المولى سبحانه بأخص اللطيفين المبشر بهما مریدوا هذه الطريقة المحمدية.

وعلى كل حال فامتثالا لأمره، في سره وجهره، فنحن أجزناه بما لدينا طبق الشروط التي هو منها على بال، في الإدبار والإقبال، مع التأكيد عليه في مراعاتها أكثر مما كان عاملا به، مع سلوك الجد في طريقتنا المحمدية بالقيام على ساق الإجتهد في أداء المفروضات ونوافل الخيرات بقدر الإمكان، والتمسك بحبل الحق في السر والإعلان، وحب الشيخ والإخوان، وتعظيم أهل الله قاطبة، ومراعاة سر خصوصيتهم في المنتسبين لهم في سائر الأوطان، ولينظر لخلق الله بعين الرفق والرضى بقضاء الله فيهم، وليجتنب مخالطة المبغضين وترك السعي في إذابتهم، وليدع لهم بالتوفيق لهدايتهم، ولم أستثني عليه فيما أجزناه به إلا ما هو مشروط علينا في الإجازة به مشافهة من الإذن الخاص في الفاتحة بنية الاسم وحزب البحر، وقوفا مع الجادة في هذه الطريقة، التي وقفنا فيها والحمد لله على عين الحقيقة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، مما تجنيه أنفسنا علينا في كل وقت، سائلا من الحق سبحانه أن يحوطنا بسور العافية من كل ما يوجب المقت، والحمد لله أولا وأخيرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه عن عجل خديم الحضرة المحمدية عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله.